

سلامه موسى : حياته وفكره

بقلم عالمي شكري

مقدمة

سلامه موسى ، واحد من أبناء الرعيل الاول الدين وضمو حصر الاساس في صرح نهضتنا الثقافية الحاضرة . وقد ولد سلامه عام ١٨٨٧ حيث اقتربت طفولته بالحال المصيبة التي كانت عليها بلادنا حين ارسى الانجليز قواعد احتلالهم .

وكانت المدرسة الفكرية الاولى لشباب ذلك الجيل هي مجلة المتكطف التي اولت العلوم عنايتها الاولى ، ومجلة الجامعة التي اولت الآداب الاوروبية كل اهتمامها . وكان يحرق الاولى الاستاذ يعقوب صروف ، والاخرى الاستاذ فرح انطون ، وكلاهما كان على صلة وثيقة بتيارات الفكر الاوروبي المعاصرة لهما . فكانت المتكطف توالي بحوثها المترجمة عن المصادر الاوروبية في نظريات النشوء والارتقاء التي تخير لها سلامه موسى اسم التطور . أما الجامعة فقد نقلت الينا روائع المدرسة الرومانسية التي جادت بها قرائح الادباء الفرنسيين في ذلك الوقت البعيد .

ومن هذه البؤرة تشعبت اهتمامات سلامه ، وتجمعت في نقطة واحدة هي : العلاقة بين الثقافة والحضارة . واكتشف ان الفكر الانساني - في مختلف نشاطاته - هو تعبير صادق عن الحضارة الانسانية . ومن ثم ايقن ان ميله الى الثقافة الاوروبية يجب ان يوجه الى التعرف على الجذور الحضارية لهذه الثقافة .

ولم يكن غريبا اذن ، ان يولى سلامه موسى وجهه شطر اوربا . وكانت وجهته الاولى باريس . ولكنه لم يكد يقضي بها شهورا حتى عاد الى وطنه بعد ان جلدته سياط المثقفين الفرنسيين وهم يسألونه عن بلاده وتاريخها ، خاصة وان كثيرا من المستشرقين اكبوا في ذلك الوقت على دراسة التاريخ المصري القديم .

عاد سلامه اذن ليدرس وطنه دراسة حرة ، ليعوض ما حرم منه على ايدي المدرسين الانجليز الذين شاءوا ان يلصقوا بأذهان التلاميذ المصريين ان تاريخ العالم هو تاريخ بريطانيا العظمى . أما مصر ، فانها لم ترق في نظرهم ، الى مستوى التاريخ .

واستكمل سلامه موسى أدواته الثقافية من علم ومعرفة، وشد رحاله مرة اخرى الى باريس .. في نفس الوقت الذي كان فيه كرومر يفادر مصر ، وتنتشر الصحف الفرنسية نص خطابه الذي القاه في حفلة السودان .

الفصل الاول

« نشرت الصحف الفرنسية الصادرة في ٥ مايو عام ١٩٠٧ نص الخطاب الذي القاه كرومر في حفلة الوداع التي اقيمت له ، بمناسبة مغادرته مصر ، عقب مأساة دنشواي ، وفي احد مقاهي باريس كسان يجلس الشاب المصري سلامه موسى مع بعض الشبان الفرنسيين ، يستمع الى احدهم ، وهو يقرأ كلمات كرومر »

« ماهي حقائق الحال المصرية الان ؟ اولها ان الاحتلال سيدوم الى الابد باذن الله . وقد صرحت لنا حكومة صاحب الجلالة الملك بذلك رسميا . والحقيقة الثانية ، انه مادام الاحتلال البريطاني باقيا ، فالحكومة البريطانية تعد بالضرورة مسؤولة امام ضميرها عن خط سير الحكومة

المصرية . ولا يكون عند احد اقل ريب في هذه الحقيقة الثابتة . والنتيجة التي استخلصها من هذه المقدمة ان نظام الحكم الحاضر ، قائم الى مالا نهاية »

سلامه « متفعلا » : كلمات رجل مخرف

شاب فرنسي « محتدا » : لانقطاعه ايها .. الهندي ...

سلامه « ساخرا » : لست هنديا .. ومع ذلك ..

شاب اخر : اخرس .. ايها الملون « ضجة » يبدو انه مصري ..

سلامه : تماما ... انا كذلك .

شاب ثالث : اذن فلا تناقش .. ليس لك هذا الحق ... الانجليز

اسيادكم .. اتسمعتي .. اسيادكم !!

« تزداد الضجة ، بينما يتصرف سلامه هاربا »

« شخص ينفي خطايا »

- انها رسالة من لندن ... من سلامه .. اما زلت تكتب يومياتك

.. ساقرأها يا اخي ، فما زال صوتك في ذاكرتي « يبدأ في القراءة »

« ... واذكر اني في احدى الامسيات ، ووجدتني اجلس على المقعد ، وكاني

سمعت به . وكاني نويت الا ابرح هذا الكرسي حتى اصل الى قرارحاسم .

ماذا انا عامل في هذه الدنيا ؟ من هم خصومي الذين يجب ان اكافحهم ؟

من هم اصديقاتي الذين يجب ان اؤيدهم ؟ ووجدتني افكر واجيب ، واحيانا

يحدث تفكيري فانسهمه كلاما انطق به . اجل . ليس لي مارب في هذه

الدنيا ، فلست ابالي ان اكون ثريا . لا بل لست ابالي ان تكون لسي

زوجة واطفال . وانما قصدي ان افهم ، ان اعرف كل شيء ، وآكسل

المعرفة اكلا ، ثم عدت فقلت : ولكن لماذا ؟ واجبت : لاكافح ! لاكافح الانجليز

حتى يجلووا عن وطننا . وايضا اكافح تاريخنا . اكافح هذا الشرق الذي

تاكله ديدان التقاليد ، واكافح هذا الهوان الذي يعيش فيه ابناء وطني :

هوان الجهل وهوان الفقر . اجل . اني عدو للانجليز ، وعدو للالاف من

ابناء وطني ، لهؤلاء الاقطاعيين الذين يعارضون العلم والحضارة المصرية

وحرية المرأة ، وصارت هذه الافكار هما يؤرقني ، منذ غادرت باريس الى

لندن » .

« في حديقة هايد بارك مع صديقته الارلندية اليزابيت »

ليزي - : لاتظن ان هذه اجمل حدائق لندن

سلامه - : انت جريئة باليزي .

ليزي - : ليس كثيرا .. ولكن هل قرأت « بيت الدمية » لابسن؟

سلامه - : طالعت موجزا نقديا لها في احدى المجلات .. كان قاسيا

على المرأة الاوروبية .

ليزي - : ان ماتتوهمه عن حرية المرأة في اوربا ، انما هو طلاء

سطحي يخفي الحقيقة المرة !

سلامه « مندهشا : الحقيقة المرة ..؟ ماذا تعنين ؟ ها انت تجلسين

معي في مكان عام .. انك تشاهدين السينما والمسرح وتزورين اصدقاءك

.. اين المرأة ياغيزتي ؟

ليزي « ضاحكة » : لاتسرع هكذا يا صديقي ، فانا لامثل اغلبية

نساتنا ... المرأة الاوروبية ياغيزتي « لعبة » في يد الرجل كما يقول

ليزي : انه التطور .. التطور الطبيعي الذي سيتحدث عنه برنارد شو غدا في الجمعية الغابية .
سلامه : انت نبهة جدا .. انني لا انسى موعد محاضرات شو .
ليزي : هل تعجبك المناقشات التي تدار في نهاية الندوة ؟
سلامه : كثيرا باليزي .. انها دليل على الديمقراطية .
ليزي : اذن فسأراك ذبا .
سلامه : الى اللقاء باليزي .
ليزي : الى اللقاء .

« في قاعة الجمعية ، وقد انتهى برنارد شو من محاضرتة »
مدير القاعة : .. والى هنا ينتهي حديث مستر شو ، والفرصة
الآن لجميع الاصدقاء الذين يريدون توجيه أي سؤال .
برنارد شو : .. فقط اريد ان تنحصر الاسئلة في موضوع المحاضرة
« خطوات شاب في طريقه الى المنصة »
مدير القاعة : اسم حضرتك ؟
سلامه : سلامه موسى
مدير القاعة : تفضل

سلامه : اياذن لي مستر شو ان أسألك : كيف استطعت ان تجمع
بين التطور والاشتراكية ، رغم ان عماد نظرية داروين هو قانون تنازع
البقاء ، بينما الاشتراكية تدعو الى التعاون ؟
برنارد شو : حين نطبق نظرية ما على المجتمع ، يجب ان نفرق
بين البيئة الانسانية والغاية ، في مجال البيولوجيا مثلا ، لا يجب ان
نقتل المرضى والضعفاء .. حتى نتطور الى ارقى .. وانما نضع حجابا
بين المرضى والاصحاء ، ونرفع اقتصادنا القومي بان نحد من جشبع
الطبقة الكبيرة لمصلحة الطبقات الشعبية .
سلامه : مارايك يا مستر شو فيما يقوله مستر ويلز في كتابه
« تاريخ الانسانية » ؟ انه يعطي الدول المتقدمة حق استقلال موارد
الشعوب المتأخرة . ويبرر ذلك بان العالم ليس ملكا ل احد .. والظروف
التي ساعدت الامم الراقية على التقدم تمنحها الحق في ان تستغل
الخامات البكر في البلاد المتخلفة . حيث ان ظروف تلك البلاد لن تهبها
الفرضة لتحويل هذه الخامات الى خدمة الانسان .
شو : انني اشكر هذا الشاب المصري « سلامه موسى » فقد اتاح
لي فرصة جميلة لتحليل كتاب الصديق ويلز ، والان اسمح لي ياغيزي
ان أسألك : هل قرأت المؤلف الالماني وايزمان ؟
سلامه : اجل . انه يؤمن بالوراثة فقط ، على انها العامل الوحيد
في تطور الكائنات الحية ، اما البيئة والظروف الخارجية ، فانه لا يؤمن
باسهامها في تفسير صفات الكائن الحي .
شو : هذا صحيح .. فلو طبقنا نظرية وايزمان في ميدان السياسة،
لادركنا الى أي مدى يمكن ان تؤيد قوى الاستعمار في العالم ، هكذا
الاستعمار الذي تسبب في مأساة قريبتكم .. دنشواي !

سلامه « مقاطعا » : اشكرك ياسيدي .. اننا لن ننسى كلماتك
الشجاعة العظيمة التي ايقظت ضمير العالم على مأساتنا .
شو : وايزمان يؤمن بالوراثة فقط .. اي ان الامم المتقدمة ولدت
هكذا بكل امكانيات التقدم ، وستظل في سيرها الامامي الى الابد .
والشعوب المتخلفة ولدت ايضا هكذا ، بكل امكانيات التأخر . واذن فلا
ضرورة للكفاح .. ومرحبا - كما يقول ويلز - باستعمار المتقدمين
للمتخلفين .. فهذا حقهم ، وتلك ضريبة التخلف ! ..
سلامه : اجل ، يا مستر شو .. اني افهمك تماما .

شو : ولكن ياغيزي ، نحن نؤمن بتأثير الوسط والبيئة على
صفات الكائن الحي .. فلو تغيرت النظم والظروف المحيطة بالـدول
المتأخرة ، لتغيرت بالتالي احوال هذه الدول ، ولا ريب اننا نلمس
تأثير الظروف الدولية على الامم المتقدمة ، وكيف ان بعضها بدأ يرجع
الى الوراء ، بينما تقفز الشعوب الضعيفة الى الامام في موازاة التقدم
العلمي .



ابسن ، انها ترندي الشباب الفاخرة ، وتقشى اللاهي ، وتذهب السى
الكنيسة ، وليس هذا بكل شيء .

سلامه : اذا خرجت المرأة الى الدنيا .. اليس ذلك كل شيء ؟
ليزي : كلا .. وانما المساواة الحقيقية هي ان ترتفع المرأة من
الانثوية الى الانسانية ، فترفض التبدل ، وتخرج الى العمل ، لانها
انسان قبل ان تصبح زوجة او اما .
سلامه : ولكن الفتاة عندكم حصلت على نصيب كبير من الحرية ..
فهي مثلا ..

ليزي « تقاطعه » : ان الفرق بين المرأة الاوروبية ، والمرأة عندكم
هو الفرق في درجة الاستعباد فقط . فالمرأة العاملة في انجلترا لا تحصل
على اجر الرجل ، ولا ميراثه ، والجامعات رفضت قبولها امدا طويلا ..
والدولة اصرت زمنا على رفضها كناخبة او مرشحة في المجالس النيابية .
سلامه : مهلك ياغيزي .. كيف اذن تقدمت المرأة الانجليزية ؟

سلامه : شكرا يا مستر شو .

شو : اديك سؤال آخر ؟

سلامه : أجل ياسيدي .. السمت ترى معي ان هناك فرقا بين دعوه نيئتسه لايجاد الانسان الاعلى ، ودعوتكم ؟

شو : انني اختلف مع نيئتسه اختلافا جذريا .. فهو يدعو الى ان يكون الانسان قنطرة بيولوجية بين الفرد والسيورمان على اساس تنازع البقاء ، فنعمل على اعادة الضعفاء ، ونشجع صفات الممتازين بالتناسل .

سلامه : هذا هو رايه بالفعل .. ولكنني اميل الى جانبك حين تشدد السيورمان بطريقة انسانية .. وهي ان نحمي الاجيال القادمة من الصفات السيئة ، بان نمنع ذوي هذه الصفات من التناسل ، بينما نشجع الممتازين .

شو : تماما .. ولا تنس ان الذين نمنعهم من التناسل لا نمنعهم مطلقا من الزواج .

سلامه : لقد عرفت ذلك من قراءتي لعلم البيوجينيا الذي يهدف علمائه الى اصلاح النسل بالوسائل الطبية كمنع الحمل عند من تعنيهم مصلحة بلادهم ، ولا يرغبون في الحاق عاهاتهم بالاجيال المقبلة .

شو : هل من سؤال جديد ؟

سلامه : شكرا .

مدير القاعة : اعتقد اننا نكتفي بهذه المناقشة في ندوة الليلة ، والى اللقاء في الندوات التالية .

« ضجة الختام .. وعند الباب تلقيتني اليزابيت مع سلامه »

ليزي : كنت رائعا ياسلامه !

سلامه : ليس كثيرا .. فقد نسيت ان اسأله عن اسباب النزاع الذي نشب بينه وبين ويلز .. فاني الممت بشيء منه في المحقق الادبي للتمييز .

ليزي : ياغزيري .. « ضاحكة » .. انك تشغل نفسك بالتفاصيل الامر في بساطة ان مستر ويلز يرى ان نجمع بين الدعوة الاشتراكية والدعوة الى تحرير المرأة في وقت واحد . ومستر شو يرى ان تقتصر علي نشاطنا الاشتراكي .

سلامه : في الواقع اني احب برنارد شو ، ولكنني اميل الى رأي ويلز .. ان حرية المرأة هي الاساس الديمقراطي لبناء الاشتراكية . « بقلق » ولكنك يا ليزي لم تخبريني بعد .. هل فكرت فيما اخبرتك به؟ ليزي : « برنة أسي » .. ظننت انك ستمهلني فترة اطول .. وان كنت اعتقد انه من الافضل ان افسر لك الامر في وضوح .. لقد اكتشفت - بعد تفكير - انني لن استطيع مفادرة ايرلندا يا صديقي . فأرضها اولي بكفاح ابنائها .. وانا - كما تعرف - ليست لي اماني صغيرة .. انني ابغي الحرية لوطني والرافهية لبنيه ، وهذا لا يتحقق الا اذا كنت بينهم !

« في أسف » : أهذا قرارك الاخير ؟ انني احبك يا ليزي .. ولكنني - مثلك - احب وطني ايضا . وطني في حاجة الى النضال . وانا لسم احضر الى هنا لايرأ منه . وانما جئت لاشترى اسلحة الثقافة والعلم التي سأسهم بها في تقدم بلادي ، انني في لندن والقاهرة معا . ان كتابسي الصغير « مقدمة السيورمان » يقرأه ابناء وطني الان .. يقرأون كل الافكار التي اكتسبتها من هنا .. الافكار التي عشناها معا يا ليزي .

ليزي : قلبي معك ياغزيري .

سلامه : وروحي معك يا صديقتي اليزابيت

ليزي : اكتب الي دائما .

سلامه : اعدك يا ليزي .. وداعا .

ليزي : وداعا .

الفصل الثاني

« القاهرة عام ١٩١٤ - صالون الادبية العربية مي - سلامه موسى صاحب مجلة المستقبل يحصل منها على حديث صحفي »
مي « ضاحكة » : انني لا احب الاحاديث الصحفية ، لكنني سمعت

انك جئت من لندن قريبا .. فربما كنت مقفولا في أسلكتك .

سلامه : مارأيك في الادب العربي المعاصر ؟

مي : في حاجة الى البثل العليا ، فهو مازال ماديا في اغراضه ، لم يرتق الى الروحانيات بعد .

سلامه : انك تستخدمين المادية والمثالية بالمعنى الاخلاقي ، بينما يجب ان نستخدمها بالاصطلاح الفلسفي ، فنقول ان الادب يكون ماديا حين يتصل بمشكلات الواقع الاجتماعي ويمالج هموم الانسانية واهتمامات الشعب . ويصبح الفن مثاليا حين يسمح في فضاء الاحلام .

مي : اذن فالادب سلعة وليس جمالا ؟

سلامه : من قال ذلك ؟ ان الفن الجميل هو الفن العظيم .. ولكن الجمال ليس احتكارا لقصاص الحب وماسي الغرام .. هناك جمال في حياة الناس . والاديب الصادق يصور هذه الحياة بكل ما فيها من ألم وحرمان .. وليس الحرمان قاصرا على الجنس .

مي « ضاحكة » : أخشى ان نخطيء فأصبح انا الصحفية ، وانت مي !

سلامه : لايجب على الصحفي - في رأيي - ان يكون انه تسجيل .. المحقق الصحفي يجب ان يناقش .. هل ثمة فرق بين الادب المصري والادب السوري ؟

مي : كلاهما يعبر عن الروح العربية ، وان تميز الاديب السوري بفخامة الالفاظ وخفة التعبير .. اما الاديب المصري فيهوى الانسياق والاستطراد .

سلامه : والمرأة السورية .. هل تتشابه مع زميلتها المصرية ؟

مي : انهما شقيقتان ، ولكنني أرى ان المرأة السورية ارقى نساء العالم العربي ، ومع ذلك فلا يستطيع رجل ان يجلس معها .

سلامه : اعتقد ان الحجاب هو المرض الحقيقي لتأخر نساءنا .. ان بناتنا لايجدن مدرسة ثانوية واحدة ، وهذا هو داؤنا . فالثقافة والعمل يمكن ان ينهضا بالمرأة العربية .. اما العمل فقير متيسر في الوقت الحاضر ، وسيتحقق مع الزمن ، اما الثقافة .. الثقافة .. لماذا تحرم منها بناتنا من دون فتيات العالم ؟ لماذا نفرح بجعل نساءنا ؟ ان الحجاب يغطي وجوههن ، وعقولهن ايضا ، وهذه مأساتنا ، فحين يصبح نصف أمة مشلولوا ، لاتتوقفي منا تقدا او رقا .

مي « ضاحكة » : انك محق ياسلامه .. وارجو الا تنسى في ثورتك الظروف الشاقة المحيطة بالمرأة العربية .

سلامه : هذا صحيح .. فظروف مجتمعا كله شاقة ومريرة .. الانجليز يعرفون ان الثقافة والتعليم هما قوام كل شعب متمدن .. فاذا تعلمنا وارثينا ، ثرنا على اغلالهم ، ورمينا بهم في البحر .. وهناك ايضا الاستبداد الداخلي .. الاقطاع التربيع على عرش ارضنا ، فسان عرشه لايبث الا بمسامير الاستعمار .

مي : اجل ، انهما عدوان خطيران .

سلامه : ولكننا سنتنصر .. تاكدي ان شعبنا يكظم ويكبت .. وحين ينفجر لايبقي ولا يذر .

مي : انك تعلم .. ماذا ستفعلون ؟ .. الاحتلال امامكم والاقطاع وراءكم .

سلامه : سنتعلم .. سنتقف بناتنا داخل بيوتنا حتى يخرجن الى الشارع ، وبينن مدارسهن بأيديهن ، سنحول حقولنا الى مصانع ، ونثبت كذب كتب المطالعة ، فبلادنا ليست زراعية .. انها اسطورة انجليزية تسمى بيننا على قدمين .. ستمتلىء بلادنا بالمصانع .. ويتحطم الاقطاع .. ويجلو الانجليز .. وسنعيش .. سنعيش ياسيديتي .

مي « ضاحكة » : انت تعلم .

سلامه « متفعلا » : لا بأس .. ولكنني من الذين يحلمون واعينهم مفتوحة .



« المشهد : سلامه على مكتبه .. جرس التليفون يدق »

- الى أين وصلت في المذكرات ؟

سلامه « بحماس » : انني اكتب منذ الصباح .. لقد وصلت الى ثورة ١٩ « يضع السماعه .. يعود الى الكتابة »
 « ترى .. هل تذكر مي حديثها معي بعد هذه السنوات ؟ اكانت تصدق ان هذا الشعب العظيم يمكن ان يقوم بثورة ؟ اكاد اوقن انها مسأ كانت على وعي بالروح العملاقة التي يحتويها شعبنا . فاكانت تسدري - مثلا - ان الاقباط رفضوا أية مساومة مع الانجليز بشأن حماية الاقليات وان الفيسيس سرجيوس كان لايبالي ان يكرر القول بانه اذا كان استقلال المصريين يحتاج الى التضحية بمليون قبطي فلا بأس من هذه التضحية . وعندما كانت لجنة الدستور تبحث قانون الانتخاب طلب احد الباشوات الاقباط ان تكفل حقوق المسيحيين في الانتخاب بالتعيين ، أي اذا سم ينتخب منهم العدد الكافي الذي يمثلهم فان الحكومة حينئذ تعين عبدا من الاقباط حتى لا يكون هناك نقص في التمثيل .. بالعمار .. لقد نسوا اننا شعب واحد .. نسوا ان محمد يمثل جرجس ومقرس يمثل حسن .. المهم ، لقد هبنا نحن الشبان ذلك الوقت ، نزيه هذا الرأي انداعي الى التفرقة ، وصرخنا بان نكتفي بالانتخاب .

وما يبرز في ذاكرتي من ثورة ١٩ هو وثبة المرأة المصرية من الانثوية والبيت الى الانسانية والمجتمع . فقد مزقت الحجاب ، وشرعنا جميعا نعد المرأة انسانا له حقوق الانسان ، بعد ان كنا نتكلم عنها باعتبارها ساءة ربة البيت او الزوجة او غير ذلك من الصفات التي كنا نصف بها « المخدرات » .. وقد زالت هذه الكلمة من لغتنا .
 وشيء اخر هو النهضة الاقتصادية التي اثمرت بجهود طلعت حرب وغيره ، بنك مصر وسائر توابعه من الشركات الاخرى . وبهذا البنك مسحت عن جباهنا الوصمة التي كان يعيرنا بها المستشار المالي برونيات بقوله انه ليس من بين المصريين من يعرف اعمال البورصة .

« يدق الجرس - يدخل خادم »

- نعم ياسيدي

سلامه : اعطني رسائل اليوم « الخطوات تبعد » .. سارد على احداها في مقال كامل .. « الخطوات تقترب » .. شكرا « الخطوات تبعد ، ويبدأ سلامه في فض احدى الرسائل » « فترة صمت يضحك في نهايتها » .. ياله من قارئ ذكي ، انه يسألني « لماذا تدعو الى الزواج المبكر ، بينما عرفت انك تزوجت في القريب جدا حين بلغت السادسة والثلاثين . وهل تعتقد ان الزواج والادب يتفقان ؟ » « يتهدد .. ثم يبدأ في الكتابة » « ليس شك انه كان للصدمة التي لقيتها ايام حبي لتلك الفتاة الايرلندية ، وانا في انجلترا ، اثر في كراهيتي او تجنبي للزواج . فلم يكن يقترح علي احد الزواج بعد هذه الصدمة الا واتهدد في حسرة وأسف :

وعقب الزواج وجدت صعوبتين : اولاهما اني احترف الادب والصحافة واتلق بالفقراء وهوايتي هي الثقافة . والزوجة تعد الانفاق على الكتب اسرافا . ثم هي لاتطبق رؤية زوجها وهو غارق في كتابه طول الوقت او معظمه في البيت . والصعوبة الثانية هي التفاوت العظيم بين مستويينا الثقافي . ففي مصر كنا لم تكن هناك مدرسة ثانوية واحدة للبنات الى عام ١٩٢٥ ، وكانت زوجتي قد تعلمت في مدرسة فرنسية من تلك المدارس التي تديرها الراهبات ، ويتجه فيها معظم العناية الى التعليم الديني . ولذلك وجدت للتغلب على هاتين الصعوبتين ان اشرع في تعليمها من جديد . فصررت اشركها فيما اكتب ، وانا قشها في جميع الموضوعات الثقافية التي اهتم بها . وبدهي ان كل زوجة تهتم بحرفة زوجها . ولما كانت حرفتي هي الصحافة والادب والعلم ، فانها اضطرت الى تبسع نشاطي حتى ارتفعت على مستواها السابق كثيرا . وبهذا صح الوفاق بيننا ، بل اكثر من ذلك انها اصبحت صديقتي كما هي زوجتي ، وظني ان خير طريق الى الصداقة الضرورية بين الزوجين في مصر ان يرفسع الزوج زوجته الى مستواه الثقافي . اذ هو حين يقصر في ذلك يجد ان التفاهم بينهما معدوم ، فلا يكون الحديث بينهما الا في الشؤون النافهة ، ويعودان وكل منهما يعيش في عالم منفصل عن العالم الذي يعيش فيه

الآخر . والصداقة التامة تحتاج الى التكافؤ الثقافي بينهما ..
 والادب الحق يجد انه بحاجة في بعض الاوقات الى ان يغير القيم والاوزان الاجتماعية والاخلاقية ، وان يجهر بما يجين غيره عن الجهر به . ولكنه حين تحدته نفسه بذلك ، يجد نداء العائلة - اي الزوجة والاولاد - صارخا في وجدانه : فف ! الا تذكر ابنتك هذه التسيبي ستتزوج بعد عام او عامين ؟

ولهذا السبب اثر كثيرون من المفكرين والادباء العزوبة على الزواج . بل احيانا وقفوا فيما يشبه منتصف الطريق ، كما فعل هافلوك اليس . فانه تزوج ، ولكن ، بالانفاق مع زوجته ، عاش كل منهما مستقلا في منزله الخاص .

وشخصية الاديب ، سيكلوجيا ، هي شخصية سيكوباتية ، أي إنسه والمجرم سواء ، والفرق بينهما ان المجرم ينحرف الى اسفل بينما الاديب ينحرف الى اعلى . كلاهما متفلفل متأفف نازع الى الشذوذ عن اوزان المجتمع وقيمه السائدة . وكما ان العائلة من العوامل الكبرى التي تحول دون الاجرام ، كذلك هي ايضا من العوامل الكبرى التي تحول دون الاديب العظيم او تفوق رسالته . او بكلمة اخرى ، تعمل العائلة للاعتدال ، وتحول دون الشطط ، الاجرامي والعبقري معا .

وكل ارتباط ، في معنى ما ، تقيد . فان الارتباط بهدف اجتماعي او اتجاه فلسفي ، يقيد الاديب ويحد من حريته . ومن هنا دعوة الدوس هكسلي واندرية جيد الى الانفصال عن الاحزاب والمذاهب ، ليستقل في فنه وتفكيره ، والحق ان لهذا القول وجهها بل وجوها من الصواب . وخاصة في عصرنا الحديث حيث نرى الاحزاب تستخدم الاديب في تادية اغراضها . ولكن عصرنا هذا يتسم ايضا بصراع روحي بين الحق والباطل والاديب الذي تنفذ بصيرته الى صميم هذا الصراع لن يستطيع الا ان يقف الى جانب الحق . واذن ليس هناك مجال في عصرنا لهذا الاستقلال المزعوم . فللاديب المخلص مبدأ ، كما ان له عائلة ، وهو يرضى بشيء من القيود يرتبط بها فنه كي يبقى متصلا بالمجتمع يدرس - عن اختيار - مشكلاته ، ويجعلها اساس الفن ومحور الادب .

« طرقات على الباب .. يدخل الساعي »

سلامه : نعم

- شاب صغير يطلب مقابلة سيادتك

سلامه : دعه يتفضل

« يفتح الباب .. خطوات تبعد واخرى تقترب »

سلامه : اهلا وسهلا

الشاب : متشكر يا افندم .. جئت لاسدد الاشتراك

سلامه : تفضل على هذا المقعد

الشاب « بعد ان اطمأن » .. ومعني عدة أسئلة من مجلة الكليسة موجهة الى سيادتك

سلامه : اسم حضرتك .

الشاب : نجيب محفوظ ، بكلية الاداب قسم الفلسفة

سلامه : واسم مجلتكم ؟

الشاب « بحماس » : التطور « بارتباك » انها مجلة حائط وليست مجلة مطبوعة .

سلامه « مبتهجا » : شيء عظيم .. اشكرك .. وما اسئلتك ؟

نجيب « بلهجة الملم » : تعلم اننا نستطيع ان نحيا على البروتينات فقط مثل زلال البيض واللحم والخبز . لان اجسامنا تستخلص منها السكر والنشا . وهناك الاف من الحيوان تعيش على البروتينيات فقط . ومن هنا نفهم ان البروتين هو المادة الحية الاولى . والمادة البروتينية تحمل على الدوام شحنة كهربائية تجعلها على تفاعل مع الاجسام الكهربائية المحيطة بها . فهي تتذبذب بها كما يتذبذب الحديد بالقوة المغناطيسية . وهذا التذبذب هو في النهاية اقرب الاشياء الى الاحساس والتحرك . والاحساس والتحرك هما خاصة الاحياء ، ولذلك يمكن الظن بان اول الاحياء على الارض هو مجموعة من الجزئيات البروتينية الكهربائية التي اغتمزت

بالحياة . ولم يكن هذا الاغتماز سوى حركة او ذبذبة كهربائية .
 نجيب : قرأت لسيداتكم اننا اهتدينا الى نظرية التطور بواسطة المتحجرات التي تعرفنا بواسطتها على تطور الكائنات الحية منذ الاف السنين . . . ولكننا نريد ان نعرف ، كيف يتحجر الكائن الحي ؟
 سلامه : الامر بوضوح ان حيوانا ما قد تزل قدمه فيقع في حفرة ثم ينهار عليه التراب ويدفنه ، او قد تنخسف الارض التي تحمله في باطنها فيموت تحت ما يتجمع حوله من التراب . او قد يتورط في مستنقع يعجز عن الخروج منه ويموت مدفونا في طينه . وهذه الاحوال نادرة الوقوع ، ولذلك فالمتحجرات من النواذر ، ونحن لذلك لا نجد كل انواع النبات والحيوان القديمة ، وانما نجد نوعا ما يصيرنا بما جاء قبله وما جاء بعده .
 والحيوان او النبات المتحجر لا يوجد بلحمه وشحمه كما كان في حياته . وانما يوجد حجرا قد اتخذ هيئته في حياته قبل موته . وسبب تحوله من المادة الحية الى المادة الحجرية انه عندما يدفن تحت التراب وتنزل فوقه الامطار تسرب المياه اليه فتفسد مادته وتتعفن شأن كل حي ، فاذا تعفنت تحولت الى غازات وتطايرت فيبقى مكانها خاليا بالهيئة التي مات عليها الحيوان او النبات . والمطر اذا تسرب الى هذا المكان الخالي حمل معه الاملاح التي تذوب فيه وهو يمر بالانربة التي فوق الحيوان او النبات المدفون . فهذه الاملاح تتراكم سنة بعد سنة ومادة الحيوان تفسد وتتحلل وتذهب سنة بعد سنة حتى يجيء وقت يصير فيه الحيوان او النبات قطعة من الاملاح او الحجر .

كان عبقريا . . وعلى الابداء ان ينالوا حظهم منه ، فلم يعد العلم وفقا على العلماء . اجل ، لهؤلاء التضرع والتعظيم . . ولكن على كل مثقف ان يضيء نفسه بنوره ، وان يمنتق نتائجها ويتحلى بأسلوبه .
 نجيب « مؤمنا على قول أستاذنا » : نعم . . ولذلك كانت رسالة المجلة هي تطوير المجتمع على أساس علمي .
 سلامه : اجل ، ادرس الآداب كما تشاء ، ولكن لا يجب ان تخلو مكتبتك الى جانب شوبنهاور وشكسبير من داروين وفرويد وبيكون .
 نجيب : ولكن . . هل يمكن لمجتمع مثقف أن يخلق حضارة مادية راقية ؟

سلامه : لو تخيلنا المجتمع هرما ، فاعدته الشؤون المادية فسي الاقتصاد والاجتماع ، فان قمته الروحية هي الثقافة ؟ لان الفكر انعكاس طبيعي للوضع الاجتماعي ، ولكنه ليس انعكاسا منعزلا عن قاعدته المادية . وانما هناك تفاعل تأثري متبادل .

نجيب : من هو الرجل المثقف ؟
 سلامه : غاية الثقافة ان تزيد الحياة وجدانا ، بان تجعل مشكلات العالم ، مشكلاتنا الشخصية ، لان الحياة تنادينا الى اليقظة والفهم والجد ، كلما استولى علينا النعاس والركود . والادب هو احدى الوسائل لزيادة هذا الوجدان ، وعندني ان الرجل المثقف هو الذي يرتفع وجدانه الشخصي الى الوجدان العالمي . ولا يكون هذا الا بالانغماس في المشكلات البشرية العالمية .

نجيب : سؤال آخر . . ما هو المشروع الذي تمثيت ان تقوم بسنه واخفقت فيه ؟

سلامه : منذ شهور وجدت - مع بعض الزملاء - ان الفرصة سانحة لاجاد حركة عامية شعبية في مصر ، ففقدنا العزم على تأليف « المجمع المصري للثقافة العلمية » . وكانت الغاية منه ان يضم جميع المهتمين بالثقافة العلمية ونشرها بين الجمهور . ونجحنا في المشروع نجاحا لم تكن ننتظره ، مما دل على ان المجمع ادى حاجة اساسية في مجتمعنا .
 ولكنني في ذلك الوقت كنت اكافح دكتاتورية الطاغية اسماعيل صدقي حين اتفق مع الاستعمار والاقطاع على اعادة الحكم التركي الشركسي الذي حاول عرابي ان يعظمه . وادى نشاطي هذا في السياسة الى طردني من المجمع .

نجيب : سؤال آخر ، وأرجو ألا أكون قد ضايقك . . .
 سلامه : الانسان الجاد هو الذي يناقش . . . انني سعيد بشباب هذا الجيل .

نجيب : قرأت أنك قضيت فترة من حياتك في الريف . . فأيهما افضل - حسب تجربتك - هل ينتج الاديب في المدينة ام في القرية ؟

سلامه : فيري يعد الريف منفى ، ولكنني اعتقد ان احصب سني حياتي، هي تلك التي قضيتها في الريف . فقد اتاح لي الدراسة الجدية ، كما اتاح لي الاستمتاع بالطبيعة . ولم يمر علي يوم دون ان استيقظ في الرابعة او الخامسة صباحا . واسير في الحقول وهي مبللة بالندى في هدوء الطبيعة الرخيم أنتظر بزوغ الشمس فاحيها واتأملها كاني فسي صلاة . وهناك آلاف الناس لم يعرفوا قط هذه الصلاة ، ولم يحسوا هذا الاحساس الديني في الاتصال بالطبيعة في خلوة الحقول التي تنمو كل نهار بحياة جديدة . ومن يمشي بين الحقول في هذه الساعات الاولى من النهار تغمره نشوة حقيقية ، حتى ليحس بأنه ثمل دون تخدير للوجدان . المدينة ترسم الخطوط العامة ، والريف يوضح التفاصيل : انواع عديدة من النبات ، واصناف متباينة من الحيوان . . ولكن التامل يجد ترابطا كليا بينها جميعا . وقد كان داروين يقول - على سبيل الفكاهة - انه يستطيع ان يقدر عدد العوانس في اية قرية بانجلترا ، بملاحظة حقول البرسيم المحيطة . فاذا كان البرسيم مزدهرا ناجعا ، فانه يدل على ان العوانس كثيرات في القرية . ذلك لانهن يتسلبن بتربية القطط ، والقطط تاكل الفيران ، والفيران تقضي على النحل ، والنحل هو الذي ينقل الى البرسيم لقاحه من زهرة الى اخرى . . فاذا قلت العوانس ، قلت القطط ، وزادت الفيران ، وقل النحل ، ثم قل ازدهار

نجيب : اشكره . . الا يمكن ان تتطور الكائنات دون ان تموت ؟
 سلامه : ربما يكون موت الابوين ضرورة يقتضيها بقاء النوع ، لانه ليس من مصلحة النسل الجديد ان يزاحمه على الغذاء الجيل السابق ، لانه يقتله عندئذ ويحرمه غذاءه . في حين ان ظهور النسل الجديد وبقاءه اذفع للنوع من بقاء الجيل السابق ، واقل للتطور منه ، فمن مصلحة النوع ألا يجد ما يزاحمه على البقاء ، وهو بعد في الطفولة . وهذا هو معنى الموت وفائدته الكبرى لجميع الاحياء العليا . فالموت عامل مسن عوامل الحياة . والاحياء الدنيا لا تعرف الموت للان . فالاميبا والنقايعات كلها خالدة ، ولكننا نحن نموت لاننا ارقى منها .

نجيب : ما هي دلالة داروين لعضرنا ؟
 سلامه : شيان هامان يهدف الى توضيحهما داروين : اولا ، معارف تكاد تكون حقائق عن اصل الانواع في الحيوان والنبات ، وانها جميعها ترجع الى اصل واحد او اصول قليلة ، وثانيا ، منهج للدراسة هو ان الاستقرار لا يعرف في الطبيعة ، وان الانسان والحيوان والنبات بل والجماد في تغير مستمر . وقد فرضت هذه النظرية نفسها على كافة ميادين الحياة ، اذ لم يقف داروين عند حد اكتشاف النظرية ، فقد سبقه الى ذلك بصفة غير دقيقة اثنان هما جده ومستر وولاس . ولكن داروين انتهى الى تحليل التطور بتنازع البقاء الموجود في الطبيعة ، فالقوي هو الذي يبقى ، اما الضعيف ، فعوامل ضعفه مكلفه بافناؤه . ومن هنا تتطور الحياة الى الافضل - أي اى الاقوى . والقوة هنا ليست بدنية فقط ، لانها قد تكون ذكاء الكائن الحي او شكله او لونه او طبيعته المعيشية . . وهكذا .

وعظمة داروين هنا هي النظرية نفسها ، التي اكتشف بها العقل الانساني مفتاح العالم . فالنقلة التاريخية التي حمل عبثها داروين من التسليم الفيني للموجودات ، الى الحقيقة العلمية لهذه الموجودات ، وهي انها في تطور مستمر غير مستقر . . قد حفرت في اذهاننا شهوة البحث والاستفسار والقلق والكشف وعدم الرضا والاطمئنان الى عقائد الاولين .

نجيب : أرجو ألا تكون أسئلتى كثيرة . . لاحظنا يا أستاذي أن اهتمامك بالعلوم يعادل اهتمامك بالآداب . . أليس كذلك ؟

سلامه : الادب وسيلة حيوية من وسائل التحرير الكبرى . ولكن العلم هو أساس الحياة الحديثة . ينبغي ان تدرس العلوم ، وان تتشبع بالعقلية العلمية ، فالجاهل بالعلم ليس من سكان القرن العشرين ، ولو

الفصل الثالث

« جمعية نسائية .. ضجة بين العضوات »

عضوة : انه مقال يجب أن نطبعه في منشورات توزع على الرجال في الطريق العام .

أخرى : ويعلق في نوادي الجمعيات النسائية كلها .

أخرى : ان الكاتب ضدكن جميعا .. لانه لا يؤمن بجمعيات للرجال
أخرى : ان الكاتب ضدكما جميعا .. لان لا يؤمن بجمعيات للرجال
وأخرى للنساء .. انه يؤمن باختلاط الجنسين .. والجمعيات النسوية
التي تعمل على انها في المرأة - مثلنا - تنسى هذا التناقض الاساسي ..
وهو أننا نعمل - من حيث لا ندرى - على تعميق الهوة بيننا وبين
الرجال .. أي أننا نطلب المساواة بشفاهنا ، ونلقبها بأعمالنا .

« خطوات قادمة .. عضوات جدد »

عضوة : علام هذه الضجة .. والمناقشات ؟

أخرى : انه مقال لسلامه موسى .

العضوة : ماذا يقول ؟

الأخرى : اسمعي يا ستي (صوت سلامه يبدأ هادئا بطيئا)

« كانت الشعائر الدينية في إنجلترا تقتضي أن يقول القسيس
للزوجة « يجب أن تطيعي زوجك » ولكن هذه الجملة حذفت لان كثيرا من
المراس كن يجبن على هذا الامر بقولهن « لا » فيثرن الضحك بسين
المدعوبين . وتغيرت العلاقة بين الزوجين الانجليزين ، فلم يعد الزوج
رئيسا لزوجته يطلب طاعتها ، وانما هو زميل يتساوى بها ويتعاون معها .
انسان مع انسانة ، رجل مع امرأة ، كلاهما على مستوى واحد ، ليس
أحدهما رئيسا والاخر مرؤوسا . وانما هما زميلان .
ومعنى الرياسة الذي لا يزال موجودا في بلادنا ، والذي يستمتع
به الزوج يجب أن يلقى . اذ يجب أن تكون العائلة ديمقراطية يتساوى
فيها الزوج بزوجته . فلا رئيس ولا مرؤوس . هو يأمر وهي تطيع .

نحن نحاول أن نجعل مجتمعنا اجتماعيا يتألف من الرجال والنساء ،
وليس من الرجال فقط . ولا يمكن ذلك الا اذا كافحنا فكرة السيادة
للرجل على المرأة ، ومجوناها ، واقمنا مقامها فكرة المساواة والزمانة .
ونحن مضطرون الى ذلك ولسنا مختارين . ذلك أن الانتاج العام في
البلاد العربية يحتاج الى أيدي النساء وعقولهن ، كما هو يحتاج الى أيدي
الرجال وعقولهم . وفي جميع الاقطار المتقدمة تنتج المرأة وتزيد الشراء
والغذاء والكساء والبناء . ونحن في تنازع بقاء مع الامم المتقدمة ، فيجب
أن ننتج مثلها . واذا عطلنا المرأة عن العمل فان انتاجنا يقل : انتاج
السلم والحرب . وعندئذ تنهزم في « تنازع البقاء » .

ان انقراض الامم المتخلفة ليس خرافة من خرافات التاريخ بل هو
حقيقة ، وسبيل البقاء وضمأن المستقبل هو التطور والرضا بالتغير ، كي
تزيد القوة بجميع مظاهرها من ثراء الى عتاد الى صحة الى علم الى
أخلاق .

وزمانة المرأة للرجل قوة كبيرة ، اذ هي تتربى بهذه الزمانة ، وتعرف
هذه الدنيا الواسعة التي كانت الى وقت قريب محرمة عليها . أي تعرف
الانتاج والكسب ، وتتخذ أخلاق الرجال في الجهد والعمل والدرس
والطموح . بل ان الرجل يتربى أيضا بهذه الزمانة . فلا يؤمن بأنسه
رئيس وزوجته مرؤوسة . لانه حين يتعود الزمانة في المدرسة ثم في
المنع أو المكتب ، ينقل هذا الاحساس الى البيت ، فيتعود الزمانة مع
الزوجة ، فلا يعتقد أن له أن يأمر وعليها أن تطيع . الزمانة في المدرسة
والجامعة من أوجب واجباتنا . فليست المدرسة أو الجامعة مكانا للتعليم
فقط . وانما هما مكان للتربية أيضا . والتلميذ والطالب يتعلمان من
المدرس أو الاستاذ . ولكنهما لا يتربيان بالدرس أو المحاضرة . وانما هما
يحصلان على التربية من الزمانة بين الجنسين . ذلك أن الزمانة هي

الإجتماع والحديث والعمل المشترك والمناقشة النيرة . وكل هذا تربية
للاخلاق وتنمية للشخصية .

وعندما نتزوج على أساس الزمانة والمساواة يقوم الحب من الزوجة
مقام الاحترام لزوجها . والحب ابر وآمن وادعم للعائلة من الاحترام .
الزوجة التي تحب زوجها خير من الزوجة التي تحترمه ، بل أننا لا نعرف
كيف نحترم أحدا اذا لم نكن نحبه . ولن يسود الحب بيننا الا اذا كانت
الزمانة تأخذ مكان الرئاسة . وليس في الدنيا انسان يستحق أن يرأس
زوجته . وانما هناك قوانين وقواعد اجتماعية يجب أن تكون لها الرئاسة ،
وأن يخضع لها الجميع رجالا كانوا أو نساء .

ان كل رجل نشأ في مجتمع انفصالي يعد ناقصا في تربيته ، جاهلا
للجنس الآخر . بل هو قد يقع فريسة للشذوذ الجنسي . وكذلك كل
امرأة نشأت في مجتمع نسوي فقط . ولا عبرة بان يقال ان مكان المرأة
هو البيت . لقد كان الشأن هكذا قبل مائة سنة حين كانت اعمال البيت
واجباته تقتضي من المرأة أن ترصد حياتها كلها على خدمة البيت والزواج
والاولاد . ولكن هذا البيت القديم كان بيتا غير متمدن . اما البيت
العصري فلا يحتاج اكثر من ساعة أو نصف ساعة من الخدمة في اليوم
كله . ومن الاجحاف أن نقول للزوجة : الزمي البيت وأبقي مطلة طيلة
النهار ، وحسبك أن تعلمي ساعة في اليوم كله .

ان المرأة الفقيرة في الاحياء الشعبية ، والمرأة الريفية في القرى ..
كلتاهما قد سبقنا نساء الطبقات المتوسطة والكبيرة الى الكفاح . فالاولى
تقف مع الرجل جنبا الى جنب في المصنع والمشفل والمستشفى ،
والاخرى لا تفاديه في الحقل والزراعة .

هلموا اذن نحو التمدن .. والتمدن هو حق المرأة العربية في
الحرية وواجبها في الانتاج ، واحساس الانتاج هو احساس الصحة
النفسية . وهو احساس الخير الاجتماعي ، وهو احساس الصلاح في المعنى
العصري . فيجب أن نجعل قلب المرأة وضميرها يحفلان ويشبعان من هذه
الاحساسات البارة النبيلة . العضوات « تنهدات » : يا سلام .. يا لها
من كلمات باردة نبيلة .

احداهن : انني أريد أن أجري تحقيقا صحفيا مع هذا الرجل .
أخرى : يجب فعلا . ويا ليتك ترينه غدا في كلية الآداب . انه مدعو
بالاجابة على أسئلة الطلبة فقط .. هكذا قال ابني .
الاولى : كلا يا عزيزتي .. انهم سيسألونه في مشكلات الادب
والفلسفة .. وأنا أريده في حديث خاص عن المرأة .
الأخرى : وكان الادب والفلسفة لا يعنيان المرأة .. ههذه هي
الانفصالية .

(ضحككات العضوات . وضجيج ينتهي بفاصل موسيقى)

(ضجيج جديد لاصوات شبان . صمت . سلامه يتكلم)

سلامه : انني سعيد بلقيامك في هذا المكان ، وأرحب بكل سؤال .

« خطوات طالب يتقدم الى المنصة »

الطالب : هل يسمح لي الاستاذ أن أسأله عن العلاقة التي تربط
بين الاديب والشكلات الاجتماعية كحرية المرأة مثلا .

سلامه : التجديد في الادب لا يعني شيئا آخر سوى التجديد في
الحياة . والاديب يجب أن يطربنا . ولكنه يجب أن يفيرنا أيضا . وحرية
المرأة - وكافة مشكلاتنا الاجتماعية - هي من سمات تطورنا وتفيرنا .. ولا
يستطيع الاديب الصادق أن يتجاهلها .

الطالب : قرأت لاحد النقاد أن دعوتكم الى مقاطعة الادب العربي
القديم لا تستند على أساس علمي .

سلامه « بضحك مقاطعا » : أرجو ألا يلتبس موقفني عند أحد ، كما
حدث للسيد الناقد . فأني لا أعادي القدماء . والثقافة القديمة هي
تراث بشري عظيم لا يهمه الا مغل . ولكن يجب أن نميز بين قديم
وقديم . ذلك أن هناك قدماء يفصل بيننا وبينهم آلاف السنين في عرف
الزمن ، ولكنهم - مع ذلك - قدماء معاصرون . أي يشتغلون بهمومنا
البشرية أو الاجتماعية العصرية . وهل أنس فضل هذا العظيم اخناتون ،
- التتمة على الصفحة ٧٧ -

سلامه موسى: حياته وفكره

— تنمة المنشور على الصفحة ١٦ —

وبيني وبينه أكثر من ثلاثة آلاف سنة حين دعا الى السلم الذي ما زلنا نشدده للآن؟ واية دعوة أهم الى القلب واسمى في الشرف من دعوة في عالمنا الحاضر الذي يقف — كطفل — على شفا بركان؟ وهل انسى هذا الامام العظيم ابن حزم حين يدعو الى الحب ويجعله اساسا للسعادة ، ويحض الناس على أن يحبوا ، وأن ينشدوا العفة والشرف مع من يحبون. وبينني وبين ابن حزم نحو ألف سنة؟ وهل انسى هذا العظيم الاخر ابن رشد ، حين يعزو تخلف الشعوب الى أن المرأة قد ضرب عليها في البيت ، فلا تخرج ولا تختلط بالمجتمع ولا تستغل بشؤون الرجال ولا ترتزق بكدها ولا تملأ وظائف الدولة؟ وبينني وبين ابن رشد ألف سنة أيضا .

هؤلاء وعشرات بل مئات غيرهم ، هم القدماء المعاصرون الذين يعيشون في عصرنا ويتحدثون الينا حديث الضمير والعقل والشرف ، ويحاولون تبييننا الى القيم الانسانية التي نسيناها أو كدنا . ليست العبرة في الادب والفن اذن بالتقديم أو الجديد ، وانما العبرة بقيمة هذا الفنان أو الاديب . قيمته الانسانية أو الاجتماعية التي يحن الينا ونحن اليه فنبتادل وايه الفكرة في حسان وانشغال انسانيين . وكذلك ليست العبرة في الادب أن يكون سهلا أو صعبا . لان الكاتب الفذ هو السذي يجمع بين اليسر والعمق . والوضوح في الادب هو المنطق . والكاتب الواضح هو الكاتب الفاهم . وعندما يفهم الكاتب يفهم انقاريء .

الطالب : شكرا « خطوات العودة الى مكانها »

سلامه : أي سؤال آخر ؟

« خطوات تقرب الى المنصة »

طالبة : اشتهرت كتابات الاستاذ بالاسلوب العلمي ، فما هو المفهوم العلمي للادب والنقد؟

سلامه : انني افهم الادب على أنه معالجة الانسان في جملته اي في كليته . فالهندسة فن يعالج البناء . والكيمياء فن يعالج المواد . والطب فن يعالج الامراض . ولكن الادب فن يعالج الانسان جملة لا تفصيلا . فهو يزن الموقف الفلسفي والموقف الجنسي والموقف الاجتماعي ، وسائر المواقف البشرية للفرد . بحيث انتهى من هذه المعالجة الى أن اعرف قيمة هذا الفرد في المجتمع وفي الدنيا وفي الكون . وانتهى الى أن اقارن موقعي أنا القاريء بموقف هذا الفرد سواء كان هو موضوع قصة او قصيدة او مقل أو سيرة انسان .

والنقد السليم للادب هو النقد العلمي ، أي أن الناقد يسأل : ما هي الظروف الموضوعية لهذا الادب ، وما قيمة هذا العمل الادبي فيسي المجتمع؟ هل هو يدعو الى الحياة والصحة والخير ، أم يحض على الانتحار والمرض والشر؟

والادب الرفيع اذن هو التنقيب عن معنى الحياة ودلالاتها ، وهو البحث عن طبيعة الكون ، وهو اقتناع الانسان ، بأن يكون انسانيا . وهو ابتكار القيم الجديدة لتأخذ مكان القيم القديمة وتزيد الدنيا والبشر جمالا وسعادة .

الطالبة : هل تؤمن بالخلود في الادب؟

سلامه : ليس الادب شيئا خالدا . اذ هو يتغير بتطور الظروف وحاجات الشعوب وسيكولوجية الافراد . ولكن يخلد فيه مع كل ذلك شيء واحد هو نزعة الانسانية . فقد تدعو الظروف ادبيا الى أن يحارب ملكا سافلا وعقيدة فاسدة أو طبقة طاغية أو استعمارا أو استبدادا ، فهو يركز الاضواء على موضوع معين كي يبرزه ويحرك العقول والفلسوب بشأنه . وقد يزول السبب الذي كتب وألف من أجله . فتزول قيمة ما كتب وألف لان الغاية قد تحققت . ولكن تبقى بعد كل هذا النزعة الانسانية في الاديب ، لان حزمة الفنان وعنوانه وهدفه وموضوعه أنه انساني . وسبق أن قال الاديب الامريكي هوبتمان كلمة يصح أن تعلق

على صدر كل فنان . قال هذا الانسان العظيم : من أهان انسانا فقد أهانني .

الطالبة : ما هو الادب الانساني اذن؟

سلامه : هو الادب الشعبي ، بمعنى أننا لا نؤلف القصائد وانقصص كي نبعث في الاثرياء العطف على الفقراء والتصدق عليهم ، وانما هو أن ننظر بالعين الفنية للمشكلات الانسانية والاجتماعية . ولكن من موقف الشعب نفسه . أي من الموقف الانساني ، وليس من موقف الاثرياء . فلا نطلب التصديق ، وانما نكافح للعدل والمساواة .

الادب الانساني اذن ، هو أن نحس احساس الشعب ونكافح كفاحه وبتكلم بلفته ونصرخ صراخه . ولا نلقي عليه كلمات الرحمة كما نلقي للجائع لقيمات الصدقة .

الطالبة : شكرا « خطواتها تبعد عن المنصة الى مكانها »

سلامه : سؤال جديد؟

« خطوات جديدة تقرب من المنصة »

طالب : أخذ عليك بعض النقاد أنك تفرق حياة الفنان بأدبه . رغم أننا يجب أن نعتد في نقدنا على النص الادبي فقط ، أما حياة الاديب ، فما لنا ولها ، اذا كانت لن تصيب قراءه بضرر؟

سلامه : أشكرك على هذا السؤال الجيوي . وأجيبك — ومعك النقاد — فأقول ، أن الاديب ليس مخلوقا هلاميا لا يتأثر بما يحيط به خلال عملية الخلق الفني . ذلك أن الفنان هو قطعة من الانسانية ، بما يتجمع فيها من تراث تاريخي واجتماعي وبيولوجي . أي أن الاديب — كإنسان يعيش بيننا — هو جماع تاريخي واجتماعي وبشرى لفترة زمنية معينة . وهو حين يكتب لا يتجرد من هذه الخصائص المكونة لانسانيته ووجوده . لان تجرده منها بمثابة تجرده عن تكوينه العضوي والسيكولوجي والذهني . هذا التكوين الذي يتعاون في تناسق أثناء عملية الخلق الفني . ومن هنا يبدو واضحا أننا لا نستطيع أن نغزل الاديب عن حياته . لان مؤلفات الاديب في واقع الامر هي حياته . وما يأخذ به من قيم وأوزان في مجتمعه ودينه وعيشه ، ينتقل الى ما يؤلف في الادب . وقد سبق لي أن قلت ، لهذا السبب ، أن أعظم مؤلفات طه حسين هو حياته . اذ ليس هناك كتاب ألفه هذا الاديب العظيم ، يبلغ في القيمة الانسانية ما تبلغه حياته .

الطالب : شكرا « خطواتها تبعد »

سلامه : سؤال آخر؟

« خطوات جديدة الى المنصة »

طالبة : يقول المستشرق الانجليزي مستر جيب في دراسته النقدية للادب العربي في مصر أن البراعة الروحية في اسلوبك ، هي تجديدك في اللغة . فماذا يقصد بهذا التعبير؟

سلامه : الواقع أنه ليس للحياة غاية سوى الحياة . وكل ما عدا الحياة هو وسائل للحياة . فاللغة والادب والفن والبلاغة انما هي جميعها في خدمة الحياة التي لها الاحترام الاول والمكانة الفضيلة . فنحن نتعلم الفنون ونمارس البلاغة ونعنى بالثقافة كي نصل في النهاية الى مستوى عال من الحياة . ولذلك لا نحتاج الى أن نكرر القول بأن بلاغة الحياة أهم وأخطر من بلاغة اللغة ، وأن اسلوب الحياة أجدى بالاولوية والتفضيل في التعليم من اسلوب الكتابة ، وأن فن الحياة هو أشرف واجدى الفنون على هذا الكوكب .

واذا جعلنا الحياة الشريفة السعيدة هدفا ، توجه اليه فنوننا وعلومنا وعقائدنا ، فاننا نستطيع أن نزرع عن هذه جميعها تلك القداسة التي تحول بيننا وبين تنقيحها أو تغييرها . ويعود عندئذ « فن البلاغة » فنا تجريبيا مثل جميع الفنون . ويتغير كما تغيرت . فليس شك أن التنفير أو التنقيح عن فنونا كثيرة في عصرنا مثل الرسم أو النحت أو البناء . وقد رحب مستر جيب بمحاولته تطبيق هذا التطور على اللغة العربية في حدود هذا المعنى .

الطالبة : ما هي اللغة المثلى في نظرك؟

سلامه : هي التي لا تلتبس كلماتها ولا تنساح معانيها ولا تتشابه

ياس ؟ من منا يستمتع هذه الكلمة ولا يضطرب ؟ الواقع أن جميع نساننا يضطربن لهذه الكلمة . ولو أننا استبدلنا بكلمتي سن الياس سن الحكمة أو سن النضج لكان لهذا المعنى الانساني توجيه آخر نحو الامل والنشاط ، ولكان منه سبب لسعادة نساننا بدلا من شقائهن .
الطالب : شكرا .

((فاصل موسيقى يعلن انتهاء الندوة))

((النهاية الموسيقية تدخل بنا الى جو منزلي))

صوت شاب : حفا انه رجل عظيم .

صوت فتاة : من هو يا أخي ؟

الشاب : سلامه موسى يا أخي . . انني أقرأ مذكراته منذ الصباح ،

واكاد لا أريدها تنتهي . . تصوري أنه وزع الشربات في بيته يوم طرد

فاروق ؟ فجر ٢٣ يوليو يعلن قيام الثورة .

الفتاة : وماذا يقول عن الثورة ؟

الشاب : انه يفلسفها . . اسمعي ((يبدأ صوت سلامة))

(حين أعرض لاحداث بلادنا فيما ١٩٤٧ ، ١٩٥٧ أجدها على اختلاف بارز بين نصفها . فالنصف الاول الى ١٩٥٢ كان انحدارا يكاد يسكون انهيارا في السياسة والاخلاق . فقد ظهرت حركات رجعية أوشكت أن تحيل بلادنا الى جهنم . كما فسد الجهاز الحكومي وطفى العرش ، واستخفت الاحزاب بالقيم واستهترت . وأصبح الزعماء والساسسة متسلقين يرغبون الوصول الى القمم دون احتفال بالوسائل . ولذا كانت في الاغلب فمم الثراء والسلطان على هرم من أشلاء الشعب .

أما النصف الثاني ، أي من بداية الثورة حتى الآن ، فيمثل نهضة الشعب . وهي نهضة انشائية بنائية في جميع المرافق ما زلنا ماضين في طريقها الذي لن يكون له نهاية . وأنا لذلك كبير التفاؤل بالمستقبل . فقد أممت فتاة السويس في ١٩٥٦ . وأحس الشعب انه بهذا التأميم لم يسترد هذه القناة فقط ، بل استرد كرامته ، وتاريخ هذه القناة لا يقرأه مصري الا مع الالم والفيظ . فانه أكبر عملية نصب واحتيال في السياسة العالمية في القرن التاسع عشر . وأذكر أنني منذ أكثر من عشر سنوات دعوت الى تأميم هذه القناة . وقلت في تبليبي وتبريري أن هذه القناة تقع في أرض مصرية . وأن-تأميمها من حيث القانون لا يزيد على تأميم الترام في القاهرة . وبعدها قرأت لاحد الصحفيين أنه سأل رئيس الوزراء آنذاك عن اشاعة التأميم ، فأجاب رئيس الحكومة المصرية بأنه ليس عند حكومته أية نية للتأميم ، وأنها تنتظر انتهاء الامتياز حسين تستولي عليها عام ١٩٦٩ . ولذلك أكرر أنني كبير التفاؤل بالمستقبل . وخاصة بعد هذه الاتفاقات التي نقيدها مع الدول لتصنيع بلادنا . هذا التصنيع الذي سيحل كثيرا من أزماتنا . بل ان هذه الازمات ستحل نفسها عندئذ بلا عمل ارادي من جانب الحكومة . فان التخط سيزول . ويأخذ الاتجاه العلمي مكان الاتجاهات التقليدية . فانثقافة العلمية ستكون النتيجة للحضارة الصناعية . ثم تعود هذه الثقافة فتؤثر في هذه الحضارة . ويستمر التفاعل بينهما . وهكذا أسعد كثيرا لان دعوتي للصناعة قد نجحت ، وهي دعوة أمضيت فيها أكثر من ثلاثين سنة .

وها أنذا في ١٩٥٧ أجد الجمهورية ، النظام الانساني الديمقراطي لكل شعب حر . وقد رفعت الثورة شبابنا من اهتماماتهم الشخصية الصغيرة الى مستوى التاريخ . فصاروا يهتمون باصلاح الوطن واستقلاله ، وزيادة أرضنا المزروعة ، وانشاء المصانع ، وتقوية الجيش ، ورفاهية الفلاحين والعمال ، واستقلال المرأة واستكمال حقوقها البشرية . وأصبح شبابنا يعملون ويجدون ، لان الثورة قد ألهمتهم شرفا جديدا ، ولأنهم لم يعودوا يجدون الطرز الخسيسمة من الرجال أمثال ((فاروق)) أو قواديسه أو جواسيسه) .

((ينتهي الصوت بموسيقى))

صوت الفتاة ((منتهدة)) : يا سلام . . انه يعبر في صدق عن أروع

لحظات حياتنا .

صوت الشاب ((متأثرا)) : . . وكفاحنا .

عن بعد أو قرب بل هي التي تؤدي المعاني في فروق واضحة . ثم هي اللغة الثرية الخصبة التي يحتاج اليها التمدنون . بل هي التي تتسع أيضا لاخترع الكلمات الجديدة التي تتطلبها الحاجات النامية المتزايدة لهؤلاء التمدنين . وكى ن فكر التفكير الحسن نحتاج الى اللغة الحسنة ، أعني اللغة الدقيقة التي تؤدي معنى معيناً ولا تتجاوزها الى هوامش المعنى . وكذلك يجب أن تكون اللغة أنيقة فلا تصف الالوان الاصليسة كالابيض والاسود ، بل تستطيع أن تنقل اليها الظلال التي بينهما . فليس من البلاغة أن نطلق الاخضر على الاسود كما تقول معاجمنا . بل يجب أن نميز لونا من آخر تمييزا صارما . ويجب أن تكون لنا بلاغة عصرية لا تقتصر على مخاطبة العواطف بل تخاطب العقول ، وأن تكون غايتها الاولى هي الفهم . وهكذا يصبح المنطق هو الاساس الاول لاية بلاغة يراد بها التعبير السديد .

الطالبة : ماذا يعوق تطور اللغة في رأيك ؟

سلامه : تتفاعل اللغة مع المجتمع ، فننحط بانحطاطه ، وترتقي بارتقائه أي أنها تتطور . وهي حين تتطور ينشأ بينها وبين المجتمع اتصال فيسيولوجي ووظائف عضوية كما بين اليد والذهن ، كلاهما يخدم الآخر وينتفع به . والتطور هو أن تخلص اللغة من الكلمات الاثرية التي لم تعد ملائمة لاجتمعا الجديد . فاللغة بمثابة المصنع الذي يعيش في عصرنا ، ومع ذلك يجمع في مستودعائه فاسا من الحجر كانت تستعمل قبل ثمانية آلاف سنة ، وابرة من الشوك كان أسلافنا يستعملونها قبل مائة ألف سنة ، وسيفا من البرونز كان يستعمل قبل أربعة الاف سنة . ومع هذه في وقت واحد نجد مصنوعات أخرى مثل الراديو والاصباح الكهربائي والسلفانايبده ومن هنا هذا الارتباك الذهني الذي يؤدي الى قلة الفهم أو اختلاطه . ذلك لاننا نستعمل أدوات قديمة كي تؤدي لنا خدمات جديدة .

الطالبة : أشكرك ((خطاؤها تبعد))

((خطوات نحو المنصة))

طالب : هل يمكن للكلمة أن تؤثر في سلوك الانسان ؟

سلامه : لا شك في ذلك . فلو تخيلنا سيدة أتيقة في صحة جيدة ، قد اقتربت من الثامنة والاربعين أو التاسعة والاربعين ، ثم أحسست نوعا أو توترا ، فلما استشارت الطبيب قال لها أن حالتها تعد طبيعية في سنها . . سن الياس !

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

من خيرة المكتبات التي يعتمد عليها

الطالب المثقف لتأمين كتبه

مكتبات انطوان

تروي عطش المثقفين جميعا

الفتاة : ماما تقول أن صديقتها الصخرية ستزوره .. ليتها تأخذني معها .
الشباب : حقا .. انها ترصه العمرة .
(فاصل موسيقى)
(صوت سيده تتكلم)

الصحفية : سألته ، وهو يقلب كتاب (المرأة ليست لعبة الرجل) : هل وصلت المرأة العربية الى ما كنت تصبو اليه ؟ واجاب سلامه موسى : سلامة : لقد وصلت المرأة في بلادنا الى اكثر مما كنت اصبو اليه منذ اربعين او خمسين سنة . ولكن اطعم في اكثر مما وصلت اليه ، اطعم في سن قوانين جديدة تقرر لها استقلال الشخصية المدنية فسي جميع تصرفاتها ، وايضا مساواتها بالرجل في جميع الحقوق الاقتصادية . وكذات حقوق الزواج والطلاق يجب الا يتميز الرجل بشيء منها .
الصحفية ما رأيك في الفجوة التي اثرت اخيرا حول الاختلاط في الجامعة ؟

سلامة : هي فجوة انتظرها في فترة الانتقال من اخلاقنا القديمة الى اخلاقنا الجديدة فان الصدمة التي تحدثها حرية المرأة في قلب الرجل التقليدي ليست صغيرة ، وهو معذور اذا تاون او صرخ ، والذي اعرفه بمشاهداتي ان الفجوة المصرية بالمقارنة الى زميلتها الاوروبية تصد من اكرم الفتيات وانبلهن واكثرهن تحفظا في العالم . وهي تهسدف الى تحقيق السعادة في الزواج وتسعى له في شرف وامانة .

الصحفية : قلت للرجل الذي دعا الم تعليم الجنس في المدارس : ما هي الاسس التي يمكن ان تبني عليها مادة (التربية الجنسية) اذا امكن ادخالها ضمن مناهج الدراسة ؟ فاجاب :

سلامة : التربية الجنسية بالمران والاختلاط في المراحل الاولى من التعليم . وتعلم في البيت من الابوين . وتعلم بعد ذلك في المراحل العليا على ايدي اساتذة حكماء وعلماء . وتعلم بالكتب النظيفة التي يكتبها مسؤولون عارفون غير مهرجين .

الصحفية : من هي اعظم امرأة في العالم ؟

سلامة : ليس هناك امرأة واحدة عظيمة . هناك الاف بل ملايين . والمرأة العظيمة الاولى التي عرفتها هي امي . وقد اكون مخدوعا ، وذلك لاني وجدت منها حبا عظيما ، وهذا عذري ؛ وكل امرأة تخدم ابناؤها وتهيئهم اجابة الصعاب في هذه الدنيا وترسم لهم طرق الاستقامة والشرف هي امرأة عظيمة . ولذلك فالمرأة العظيمة الثانية التي عرفتها هي زوجتي . لانها استطاعت ان تصل باولادها الى مرتبة عالية من التربية . وفي المجتمع الذي يجعل الوظيفة الاولى للمرأة طبخ الطعام والاسراف في تهيئته بحيث يرضى النهم الذي لا يشبع .. في مثل هذا المجتمع يشق على المرأة ان تكون عظيمة . ولكن في مجتمع قادم حين نعرف كيف نشترك في الطعام العامة ، وحين نعرف ان المرأة يجب ان تعمل اعمال الرجال وتهدف اهداف العظماء ، حينذاك سوف نجد العظيمة في المرأة اكثر مما نجدنا الان .

الصحفية : والكتاب الذي كان على المقعد المجاور للكاتب الكبير هو (فن الحب والحياة) ويذكر فيه سلامه موسى الانتصارات الرائعة التي حققتها المرأة في جميع انحاء العالم . قلت للرجل الذي يكسو الشعر الابيض رأسه في هدوء : ما هي الاهداف التي لم تحققها المرأة العربية في نظرك ؟

سلامة : اعظم ما ينقص المرأة في البلاد العربية هو تحقيق شخصيتها ، ولن تستطيع ذلك الا اذا عملت وكسبت واصبحت قادرة على ان تجد موقفا من المجتمع والعالم بلا خوف من الجوع . وسوف يكون هذا ممكنا عندما تعم بلادنا الحضارة الصناعية المنتظرة التي تهسيء الفرص لجميع الشباب والفتيات كي يعملوا وينتجوا .

الصحفية : من هو الرجل العظيم ؟

سلامة : دعيني اسرق الاجابة من برناردشو ، اذ قال ، ان الرجل العظيم الذي يعطي الدنيا اكثر مما يأخذ منها . اي ان الدنيا تجد بعد انقضاء عمره انها كسبت به ولم تخسر ، وانفقت عليه اقل مما ترك لها .

وهذا الذي تركه لها فديكون حكمة او قدرة او علما او اختراعا او زيادة في الثروة او الخير او السلام .

الصحفية : قال المستشرق المجري جرمانوس في نقده لك ، انك تؤثر العقل على القلب في اختيار السلوك الانساني . فابن بقع ايمانك اذن بين الاثنين ؟

سلامة : ان جميع الاديان في نظري متساوية . فانا احب المسيح واعجب بمحمد واستشير بيوزا . واحس ان كل هؤلاء اقربائي في الروح احيا معهم على تفاهيم واستلهم منهم . المروءة والحق والرحمة والشرف . واؤمن زيادة على هؤلاء ، بحب الطبيعة وجلالة الكون . ولا انسى المعنى الديني في نظرية التطور ، وموكب الاحياء التي يتوجها الانسان . بل اني لاجد هذا المعنى الديني في جمال المرأة ، وقداسة الامومة ، وشرف الانسانية . واؤمن بتولستوي وفاندي وفولتير وبيكون . ان الصورة الوحيدة التي تطل على سريري اراها عند اليقظة في الصباح ، وقبل النوم في المساء هي صورة تولستوي ، الانسان الانساني . وبكلمة اخرى اقول ان بؤرة ايماني هي الانسانية بمن تحوي من فلاسفة وانبيساء وادباء ، وبما تحوي من شجاعة وذكاء ومروءة ورحمة وجمال وشرف .

الصحفية : وكذات انسى سؤالي الاخير ، لولا ابتسامه الرجل العظيم ، فقلت له : ما اخر ما قرأت ؟

سلامة : بروفات كتاب عن سلامه موسى

الصحفية (ضاحكة) كيف ؟

سلامة : انه دراسة لانتاجي الفكري كتبها ناقد شباب

الصحفية : واخر ما كتبت ؟

سلامة : تعليقي على هذه الدراسة

الصحفية : ما هي اميتك ؟

سلامة : ان اموت - مثل الجاحظ - وعلى صدري كتاب .

موسيقى

المراجع

- 1 - المجموعة الكاملة من مؤلفات سلامه موسى
- 2 - العدد الخاص من مجلة « العالم العربي » القاهرية ، الذي صدر في سبتمبر سنة ١٩٥٨ عن سلامه موسى
- 3 - كتابات المستشرق المجري جرمانوس ، والمستشرق الانجليزى جيب
- 4 - كتابات علي الوردى ولويس عوض والفقاد ورشدي صالح وحسين فوزي ووديع فلسطين وطه حسين وكامل الشناوي وعبد اللطيف السحرتي وابراهيم ناجي واحمد عباس صالح وفؤاد دواره وانور عبد الملك وفتحي خليل ومحمود العالم وحليم مرتري ، وبقية الادياب والمفكرين العرب الذين كتبوا عن سلامه موسى غداة وفاته .

غالي شكري

فندق نيوبالاس

ادارة : فتحى نوفل

جناح خاص
للعائلات
أسعار معتدلة
مصعدان حديثان



وسط راف
خدمة ممتازة
مياه ساخنة
تليفونات بالغرف

ت : ٤٥٩٣٦
س : ٧٩٧٩١

١٧ شارع سليمان الحلبي
(دوربر سابقا) القاهرة
تلف سينالوكس بمارالدين

New Palace Hotel 17 Sh. Soliman el Halaby
Telephone 45936 + Cairo